

العقوبة - بحثها من الناحيتين الروحية والكنسية¹

إن الذين سمعوا كثيراً عن الوداعة، ربما يظنون أن العقوبة تتنافى مع الوداعة، أو يظنونها تتعارض مع مبادئ التسامح، أو تتعارض مع الرحمة والشفقة.

ونود أن نشرح في هذا المقال وما يليه، تقييم العقوبة من الناحية الروحية، وكيف أنها تكون واجبة ولازمة أحياناً، وكيف أن الله نفسه مارس العقوبة، حتى مع قديسيه، ومارسها أيضاً الرسل والقديسون.

الله الرحوم كان يعاقب.

مهما كان الإنسان حنوناً أو عطوفاً أو رحوماً، فلن يكون في حنانه أو عطفه أو رحمته مثل الله... ومع ذلك فإن الله كلي الرحمة كان يعاقب أحياناً...

منذ بدء الخليقة، والله يمارس العقوبة: عاقب آدم وحواء وقايين واعتمد عقوبة كنعان. وبلغ من شدة العقوبة أن أغرق الله العالم بالطوفان، وحرق مدينة سدوم وعمورة. وحول امرأة لوط إلى لوح ملح، وجعل الأرض تفتح فاتها لتبتلع قورح وداثان وأبييرام.. وأرسل ملائكة فضرب كل أبنكار مصر في ليلة واحدة.

بل أن أول ملاك سمعنا في الكتاب المقدس كله، كان ملاك عقوبة، واحد من الكاروبيم وقف بلهيب سيف متقلب يحرس الطريق إلى شجرة الحياة (تك3: 24).

أننا نسمع كثيراً عن ملائكة الرحمة، ولكن ما أكثر ملائكة العقوبة الذين ورد ذكرهم في الكتاب: يكفي أن نقول إن الملاكين اللذين أنقذا لوطاً وأسرتهم من سدوم، هما بذاتهما اللذان ضرباً أهل سدوم بالعمى.

¹ مقال لقداسة البابا شنودة الثالث - بمجلة الكرازة - السنة السادسة - العدد الاول 3 - 1- 1975م

ملاك آخر ضرب من جيش سنحارب 180 ألفا فماتوا... وأكثر ما ورد عن ملائكة العقوبة، أولئك الملائكة أصحاب الأبواق الذين تحدث عنهم سفر الرؤيا، فأصابوا الأرض بويلات خطيرة ومهالك مرعبة حين بوقوا. فلما انتهى الأربعة الأول من أبواقهم، يقول يوحنا الرائي "ثُمَّ نَظَرْتُ وَسَمِعْتُ مَلَكَ طَائِرًا فِي وَسْطِ السَّمَاءِ قَائِلًا بِصَوْتِ عَظِيمٍ: وَيْلٌ! وَيْلٌ! وَيْلٌ! لِلسَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَجْلِ بَقِيَّةِ أَصْوَاتِ أَبْوَاكِ الثَّلَاثَةِ المَلَائِكَةِ المَزْمَعِينَ أَنْ يُبَوِّقُوا!" (رؤ: 8: 13).

ولا يظن أحد أن عقوبات الله قاصرة على العهد القديم، بينما العهد الجديد هو عهد النعمة، أي بلا عقوبة!!

كلا، فالله هو هو، أمس واليوم وإلى الأبد، ليس عنده تغيير ولا ظل دوران...

إن المسيح الوديع المتواضع، هو نفسه الذي قال "لَكُمْ أَيُّهَا الكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ المُرَاؤُونَ" (متى 23). وهو الذي تحدث عن "البكاء وصرير الأسنان". وهو الذي عندما استحي بطرس واعتقى من غسل رجليه قال له "إِنْ كُنْتُ لَا أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِيَ نَصِيبٌ" (يو: 13: 8)، أي إنه يحرم بطرس الرسول من الملكوت بسبب ذنب يبدو بسيطاً كهذا!

بنفس الأسلوب قال السيد المسيح "وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ المَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ." (مت: 5: 22) ... وأمر أن الغصن الذي لا يصنع ثمرًا يقطع ويلقى في النار (يو 15) ... المسيح الحنون الطيب الذي في طيبة قلبه ترك إحدى الأشجار سنة ريثما تصنع ثمرًا، هو نفسه الذي - في العهد الجديد - لعن شجرة التين غير المثمرة. وقال للكهنة المخطئين "إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ يُنَزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ" (مت: 21: 43).

في العهد الجديد، عهد النعمة، حكم الرب على حنانيا وسفيرة بالموت، من فم عبده بطرس الرسول، ولم يترك لهما فرصة أخرى للتوبة.

وفي العهد الجديد أعطى الرب الأمر بالعقوبة حيثما قال لتلاميذه القديسين "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْتَبُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحْلُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ" (مت 18: 18). وقال لهم أيضًا "مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكْتُمْ" (يو 20: 23). وفي ذلك تقول الدسقولية للأسقف.

"كما أعطيت سلطانًا أن تحل، كذلك أعطيت سلطانًا أن تربط". في بعض الأوقات لا يكون فقط من حق الأسقف أن يربط، بل يكون من واجبه أن يفعل ذلك... إن عالي الكاهن عوقب من الله، لأنه لم يعاقب أولاده كما ينبغي.

وبولس الرسول يأمر الأسقف قائلاً "وَبَخِّ، ائْتَهْرْ، عِظْ" (2 تي 4: 2). بل يقول عن الذين أخطأوا خطايا علنية "وَبَخُّهُمْ أَمَامَ الْجَمِيعِ، لِكَيْ يَكُونَ عِنْدَ الْبَاقِيْنَ خَوْفٌ" (1 تي 5: 20).

وموسى النبي الذي "كَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ" (عد 12: 3) حينما أخطأ الشعب وعبد العجل، غضب جدًّا، وألقى لوحى الشريعة فكسرها، وحطم التمثال، وذرى ترابه، وانتهر رئيس الكهنة انتهازًا شديدًا، وأمر بالقتل حتى قتل في ذلك اليوم ثلاث آلاف (خر 32).